خلدون البرغوثي *

التعريف العملي لمناهضة السامية.. كاتم صوت منتقدي إسرائيل**

مقدمة

تتناول هذه الدراسة اعتماد المدافعين عن إسرائيل على وثيقة تسمى "التعريف العملي لمناهضة السامية"، في استهداف منتقديها، عبر الربط بين انتقاد ممارسات إسرائيل كقوة احتلال وبين العنصرية تجاه اليهود، وهما قضيتان منفصلتان بالنسبة لمناهضي الاحتلال، إذ إن هناك فرقا شاسعا بين العنصرية ضد اليهود، وبين انتقاد نظام سياسي يمارس القمع ضد شعب آخر. ويبرز التناقض في طرح المدافعين عن إسرائيل عندما يتصدى لهم يهود، ممن يرفضون طرح إسرائيل لنفسها كممثلة ليهود العالم، من ناحية، ويدعمون الحقوق الفلسطينية ويرفضون الاحتلال وممارساته.

ولم يسلم هؤلاء اليهود المناصرون للحقوق الفلسطينية من قمع مناصري إسرائيل، ففيما يوصف منتقدو إسرائيل من غير اليهود بأنهم مناهضون للسامية، يوصف اليهود الذين يعارضون سياسات إسرائيل وينتقدونها بأنهم "كارهون لأنفسهم".

تستعرض هذه الدراسة الخلفيات التاريخية لمناهضة السامية من ناحية تفسير دوافعها، ثم الظروف التاريخية التي دفعت مناصري إسرائيل إلى السعي لتطوير تعريف مناهضة السامية الكلاسيكي، عبر ربط العنصرية ضد

* صحافي وباحث مختص بالشأن الإسرائيلي.

** هذه المقالة هي ملخص محدّث لدراسة أعدها الكاتب عام ٢٠١٣ بعنوان استخدام مناهضة السامية كتهمة لمنع انتقاد ممارسات إسرائيل بحق الفلسطينيين ٢٠٠٠-٢٠١٣"، ضمن دراسته للحصول على درجة الماجستير في "الدراسات الإقليمية-الدراسات الإسرائيلية" بجامعة القدس.

تستعرض هذه الدراسة الخلفيات التاريخية لمناهضة السامية من ناحية تفسير دوافعها، ثم الظروف التاريخية التي دفعت مناصري إسرائيل إلى السعي لتطوير تعريف مناهضة السامية الكلاسيكي، عبر ربط العنصرية ضد اليهود بانتقاد إسرائيل.

اليهود بانتقاد إسرائيل. ونقطة التحول في الانتفاضة الثانية التي تبعها مباشرة العمل على إصدار التعريف الجديد لمعاداة السامية المسمى "التعريف العملي لمناهضة السامية". كما تستعرض النقاشات والجدل المتعلق بهذا التعريف وصولا إلى شطبه من قبل الهيئة الأوروبية التي أصدرته، وتبني مناصري إسرائيل له على الرغم من ذلك، وصولا إلى اعتماده من قبل عدد من الدول والمنظمات بضغط من إسرائيل والمنظمات الصهيونية المدافعة عنها، واستمرار السعي لتبنيه عالميا. وتطرح الدراسة بعض نماذج القوانين التي استندت إلى التعريف بكامله أو إلى مقاطع منه، بهدف قمع منتقدي إسرائيل تحت غطاء مكافحة مناهضة السامية، إضافة إلى أبرز المنظمات التي يشكل الترويج للتعريف هاجسا لها، مع إقرارها أن الدفاع عن إسرائيل هو من ضمن مبادئ عملها.

١. لمحة تاريخية

تصاعد في العقود الثلاثة الأخيرة بشكل خاص، الحديث عن مناهضة السامية، وتعريفها، في سياقات متعددة، بدءًا من تعريفها الكلاسيكي أي "العدوانية تجاه أو التمييز ضد اليهود كمجموعة دينية، أو عرقية"،[١] وصولا لتطوير التعريف إلى صيغة جديدة توسعه وتُضمّنه، بنودا أخرى يمكن استخدامها في سياقات سياسية–دعائية–قضائية، كي تمكّن المدافعين عن إسرائيل –حتى في سياق ممارساتها كقوة احتلال– من استخدام التعريف الجديد، لقمع منتقديها، بذريعتين: حماية اليهود، ومنع تكرار الهولوكوست.

ويسعى التعريف الجديد إلى الربط بين مناهضة السامية، ومناهضة الصهيونية، من جهة، وربط انتقاد إسرائيل بالعنصرية ضد اليهود، من جهة أخرى.

نشأت "مناهضة السامية"بمفهومها الكلاسيكي في أوروبا منذ قرون، وتمثلت بالعداء ضد اليهود في المجتمعات الأوروبية التي كانوا يعيشون فيها، وكان هذا العداء يتحول من مشاعر وتلفظات عنصرية إلى إجراءات عملية عدائية على الأرض وتنكيل بهم، وصولا إلى الهولوكوست "المحرقة"في الحرب العالمية الثانية.

من أبرز النظريات التي تناولت أسباب العداء لليهود في أوروبا، يطرح الفيلسوفان اليهوديان حنة أرندت Hanna Arendt وجان–بول سارتر Jean-Paul Sartre، وجهتا نظر مختلفتان لعلهما أبرز النظريات التي تحاول تفسير أسباب العنصرية الأوروبية تجاه اليهود.

١,١ أرندت: الدور الوظيفي وراء العنصرية ضد اليهود

تعتبر أرندت في كتابها "أسس التوتاليتارية"(The Origins of Totalitariansim) الصادرة طبعته الأولى عام ١٩٥١، أن كراهية اليهود مرتبطة بمسألة الطبقية في المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، خصوصا في فترة ظهور الدول القومية في القارة الأوروبية. فتحولُ النظام الاقتصادي من إقطاعي –كان اليهود يلعبون فيه دور المصرفيين ورجال الأعمال–، إلى نظام رأسمالي، برز فيه أثر الثورة الصناعية وقلّ تأثير اليهود المالي، كان سببا في تراجع نفوذهم. وتشبه أرندت ما حدث لليهود، بما حدث لطبقة الأرستقراطيين في فرنسا، فتقول إن "الشعب الفرنسي كره الارستقراطيين عندما بدأوا يخسرون نفوذهم أكثر مما كرهوهم في الماضي، بالتحديد لأن خسارتهم

يسعى التعريف الجديد إلى الربط بين مناهضة السامية، ومناهضة الصهيونية، من جهة، وربط انتقاد إسرائيل بالعنصرية ضد اليهود، من جهة أخرى.

السريعة لنفوذهم لم ترافقها خسارة ملموسة في ثرواتهم... عندما فقد النبلاء امتيازاتهم، كامتيازي الاستغلال والاضطهاد شعر الشعب أنهم [النبلاء] صاروا طفيليين... ليس الاستغلال ولا الاضطهاد كانا السبب في الشعور بالاستياء، لكن الثروة دون دور واضح صار لا يمكن التسامح معها".[٢] وتربط أرندت علاقة فقدان النفوذ مع الحفاظ على الثروة بوصول مناهضة السامية ذروتها في ألمانيا؛ فعندما فقد اليهود وظيفتهم العامة وتأثيرهم، ولم يبق بحوزتهم شيء سوى ثرواتهم... وجاء هتلر، كانت المصارف تقريبا يهودية بحتة؛إذ كان اليهود يتولون مواقع رئيسية فيها منذ مئة عام.[٣]

بالمقابل ترفض أرندت فكرة أن كره اليهود نابع فقط من كونهم يهودا، أو لأن هذا الكره ينبع من الخبث الإنساني وحده، بل تربط العنصرية تجاههم مباشرة بفكرة أن الشعوب تكره الذين يملكون الثروة دون السلطة، بناء على الغريزة العقلانية التي تقول إن للنفوذ وظيفة محددة وله فائدة عامة. [٤]

كما تربط أرندت مناهضة السامية بنشوء الدولة القومية في أوروبا، فترى أن موقف اليهود الرافض للتخلي عن دورهم المالي برفضهم الاندماج في النظام السياسي القائم على المساواة أمام القانون، وتفضيلهم البقاء كمجموعة لها علاقة خاصة بالدولة، كان سببا في بقاء "المجتمع قائما على اللامساواة في النظام الطبقي، وبالتالي منع تطوير جمهوريات فاعلة ومنع ولادة تسلسل سياسي جديد".[٥]

كما ترفض أرندت نظرة "كبش الفداء"التي تقول إن اليهود بصفتهم الحلقة الأضعف في أوروبا، تم التضحية بهم كقرابين، لأن هذه النظرية تفترض البراءة المطلقة لليهود. وتشير أرندت إلى أن أصحاب هذه النظرية أنفسهم تخلوا عنها.[٦]

حنة أرندت.

١,٢ سارتر: كراهية اليهود شعور متأصل لدى الشعوب الأخرى

بالمقابل ذهب الفيلسوف الفرنسي جان–بول سارتر (١٩٠٥–١٩٨٠) باتجاه معاكس لأرندت، وربط في كتابه "المناهض للسامية واليهودي"(Anti-Semite and Jew) كره اليهود بالفرد الأوروبي–، عبر طرح أمثلة لمشاعر أفراد أوروبيين تجاه اليهود. يقول سارتر: "اليهودي الذي يسعى مناهضو السامية إلى وضع أيديهم عليه ليس كائنا تخطيطيا يُعرف فقط من خلال وظيفته بموجب قانون إداري، أو من خلال رتبته أو أفعاله، بموجب القانون. بل هو يهودي ابن يهودي، يتم تمييزه من خلال بنيته الجسدية، ولون شعره، وربما من ملابسه، بحيث يقولون إنه يتم تمييزه من خلال شخصيته".[٧]

ويقصد سارتر أن مناهضة السامية ليست رأيا ناتجا عن تفكير عقلاني، بل ناتجة عن دوافع عاطفية. فـ"الشخص المناهض للسامية بشكل معتدل هو رجل لطيف سيقول لك بهدوء (أنا شخصيا لا أكره اليهود، أنا ببساطة أجد أنه من الأفضل ولأسباب عديدة، أن يلعبوا دورا أقل في نشاط الأمة)،

وبعد لحظات وعندما تكسب ثقة هذا الرجل سيضيف بصراحة أكثر (أترى؟ لا بد وأن هناك شيئا ما في اليهود، فهم يزعجونني بسبب هيئتهم الجسدية)".[٨]

يحاول سارتر أن يعمم وجهة نظره هذه في أسباب كره اليهود، فيشير إلى أنه تحدث مع المئات عن دوافعهم، وكانت إجاباتهم مرتبطة بالعيوب التي ألصقتها التقاليد باليهود "أنا أكرههم لأنهم أنانيون، فضوليون، عنيدون، متملصون، غير لبقين، الخ... قال لي رسام: أنا معاد لليهود، لأنهم بعاداتهم السيئة، يشجعون الموظفين لدينا على العصيان".[٩]

إذن، يرى سارتر أن كره اليهود نابع من رغبة أو شهوة متأصلة في غير اليهود، وليست لها علاقة بدورهم الوظيفي في المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، بل بتصورات سابقة، تستخدم دورهم المالي غطاء لهذه الكراهية.

١,٣ شارانسكي: كراهية الغرباء

يلخص ناتان شارانسكي Natan Sharansky الذي تولى عدة مناصب وزارية في أكثر من حكومة إسرائيلية، ثم ترأس الوكالة اليهودية بين عامي ٢٠٠٩–٢٠١٨، ويتولى حاليا رئاسة معهد دراسات مناهضة السامية العالمية والسياسات ISGAP، الحالتين التي حاول من خلالها أرندت وسارتر تفسير مناهضة السامية الكلاسيكية، يقول شارانسكي: "في معرض إجابتهم على هذا السؤال، حاول عدد من الباحثين إعطاء ظواهر مناهضة السامية تفسيرات أكثر شمولية، غير تاريخية. ولعل التفسيرين الأكثر رواجاً هما نظرية "كبش الفداء"، والتي تقضي بأن اتهام المجموعة الأضعف من ناحية اجتماعية – وهي مجموعة اليهود في أغلب الأحوال – بكل مشاكل مجموعة الأغلبية، ما هو إلاّ وسيلة لتنفيس التوترات الاجتماعية. والتفسير الثاني يتمثل في النظرية "الشيطانية"التي قدر لليهود بموجبها لعب دور "الآخر"نتيجة لحاجة المجتمع الدائمة لرفض كل ما هو مختلف من ناحية إثنية ودينية أو عرقية. طبقاً لهذه التوجهات السوسيولوجية، يتلخّص جلّ خصوصية مناهضة السامية كظاهرة مناوئة لليهود إذن في تسميتها، أما في جوهرها فهي ليست سوى نوع من أنواع الكراهية، ومن ضمنها أيضاً العنصرية وكراهية الغرباء".[١٠]

بالمجمل هناك آراء مشتركة بين بعض من كتبوا عن مناهضة السامية، تشير إلى أن أساسها ينبع من كره الشعوب الأخرى لليهود، إما لأسباب عرقية أو دينية أو لدور اليهود المالي في المجتمعات الأخرى –الأوروبية بالذات–. وسيطرة اليهود على المال كان أبرز الأسباب لتعرضهم للغيرة من قبل غيرهم من الشعوب.[١١ ١٢ ١٣]

١,٤ بينسكر: الحل في دولة اليهود

يرى الطبيب والمفكر اليهودي ليو بينسكر Leon Pinsker أن كره اليهود مرض متأصل في الشعوب الأخرى، لكنه يعتبر هذا الشعور نتيجة أكثر منه سببا. "في سيكولوجيا البشر نجد جذوراً للانحياز ضد أمة اليهود؛ لكن هناك عوامل أخرى ليست أقل أهمية تجعل من المستحيل اندماج اليهود في الشعوب الأخرى أو مساواتهم معهم.[١٤]

ويربط بينسكر في مقالته التي كتبها عام ١٨٨٢ تحت عنوان (Auto-emancipation) ، أو "التحرر الذاتي"سبب كره اليهود في المجتمعات الأوروبية، بواقع عدم وجود دولة للشعب اليهودي. "الأجنبي [من غير اليهود] له حق الضيافة [في الدول الأوروبية الأخرى]، لأنه يستطيع أن يقابل الضيافة بمثلها في بلده. لكن اليهودي لا يستطيع الادعاء بأحقيته في الضيافة. فهو ليس ضيفًا، ناهيك عن أن يكون ضيفًا مُرحّبًا به. هو أقرب إلى المتسول، وهل يكون المتسول في موضع ترحيب!".[١٥]

يضيف بينسكر "أن اليهود دخلاء ليس لهم ممثلون، لأنه لا توجد لهم دولة". لذلك تنظر إليهم طبقات المجتمعات المتواجدين فيها بمناظير ترتبط بطريقة تفكير أبناء الطبقة؛ فاليهودي "بالنسبة للأحياء جثة، وللمواطن هو أجنبي، وبالنسبة للمزارع هو بدوي متشرد، ولصاحب الأملاك فاليهودي متسول، وبالنسبة للفقير فهو محتال ومليونير، وللوطني هو شخص دون وطن، لذلك فهو خصم مكروه".[١٦]

نلاحظ هنا إصرار بينسكر على الربط بين كره اليهود وعدم وجود وطن قومي لهم.

٢. البدايات

الربط بين مناهضة السامية ومناهضة الصهيونية، قد يكون ظهر أبكر بكثير من الجدل القائم حاليا، ولو على شكل إشارات، لعل أبرزها تصريح منسوب لدافيد بن غوريون في سياق تعليقه على قرار محكمة بريطانية عام ١٩٤٣ أشارت

قد يكون الربط بين مناهضة السامية ومناهضة الصهيونية، ظهر أبكر بكثير من الجدل القائم حاليا، ولو على شكل إشارات، لعل أبرزها تصريح منسوب لدافيد بن غوريون في سياق تعليقه على قرار محكمة بريطانية عام ١٩٤٣ أشارت فيه إلى تورط قادة صهيونيين في تهريب السلاح للحركة الصهيونية. بن غوريون قال "من الآن فصاعدا، أن تكون مناهضا للصهيونية يعني أن تكون مناهضا للسامية".

فيه إلى تورط قادة صهيونيين في تهريب السلاح للحركة الصهيونية. بن غوريون قال "من الآن فصاعدا، أن تكون مناهضا للصهيونية يعني أن تكون مناهضا للسامية".[١٧]

٢,١ حرب الأيام الستة.. ومناهضة السامية الجديدة

يستعرض نورمان فينكلستاين بداية التحول العملي في استخدام مناهضة السامية كأداة للتصدي لمنتقدي إسرائيل بصفتها قوة احتلال في كتابه "صناعة الهولوكوست: تأملات في استغلال المعاناة اليهودية". ويلفت فينكلستاين النظر إلى أن اليهود خاصة الناجين من "المحرقة"كانوا يخجلون من الحديث عن تجربتهم حتى أواسط الستينيات من القرن الماضي، ولكن بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان عام ١٩٦٧، تنبه الصهيونيون إلى أهمية استغلال ما حدث لليهود في الحرب العالمية الثانية، كورقة يرفعونها في وجه من ينتقد احتلال إسرائيل للأراضي العربية في حرب الأيام الستة.[١٨]

ويؤيد نعوم تشومسكي ما ذكره فينكلستاين أن الاهتمام الحقيقي بربط انتقاد الصهيونية وإسرائيل بمناهضة السامية برز بعد عام ١٩٦٧: "ويقول "فترة ما بعد ١٩٦٧ شهدت تحويل هذا التكتيك إلى فن رفيع بشكل متصاعد للدفاع عن سياسات صار من الصعب الدفاع عنها".[١٩]

في عام ١٩٧٤ نشر كتاب بعنوان "مناهضة السامية الجديدة"(The New Anti-semitism) من تأليف آرنولد فورستر وبنجامين آر. إبستاين Arnold Forster & Benjamin R. Ep-stein. وقد يكون الكتاب من أوائل الدراسات التي استخدمت مصطلح "مناهضة السامية الجديدة"، لتمييزها عن الكلاسيكية، ونشر بعد حرب ١٩٧٣ التي وقعت بين مصر وسورية من جهة وإسرائيل من جهة أخرى. وفيه يحاول فورستر وإبستاين التقليل من شأن العلاقة السببية بين أي خطوة انتقادية أو عملية ضد إسرائيل مثل حرب ١٩٧٣، وبين الوضع السياسي الناتج عن احتلالها للأراضي الفلسطينية والعربية. المؤلفان يسوّقان لفكرة أن هذه المحاولات هدفها القضاء على دولة إسرائيل فقط لأنها دولة اليهود، وليس لأنها تحتل أراضي شعوب أخرى.[٢٠]

ويسوق المؤلفان أمثلة على مناهضة السامية الجديدة، التي ترتبط بانتقاد إسرائيل، أو مناهضة الصهيونية، فيتهمان الصحافي جيفري اس تي. جون بمناهضة السامية بسبب تصريح له بثته شبكة CBS الأميركية بتاريخ ١٠ أيلول ١٩٧٣، حول دعم الولايات المتحدة لإسرائيل. يقول جون إن "السبب في أنه لا يوجد عندنا نقاش جارٍ في هذا البلد حول إن كنا ندفع ثمنا باهظا لضمان أمن إسرائيل، هو –كما يبدو لي– أن الرأي العام الأميركي يتم تشكيله من وجهة نظر مؤيدة لإسرائيل. وعندما يحاول شخص ما أن يقترح أن نبدأ بتغيير سياستنا (...) فإن ماكينة الدعاية المؤيدة لإسرائيل في أميركا تقوم بصلبه [تدمير سمعته] بشكل علني".[٢١]

يعتبر فينكلستاين أن إبراز فورستر وإبستاين مصطلح "مناهضة السامية الجديدة"، ليس الهدف منه "مقاومة مناهضة السامية، بل استغلال معاناة اليهود التاريخية لتحصين إسرائيل ضد الانتقاد". ويضيف أن كتاب "مناهضة السامية الجديدة"صار معيارا لمن تلاه من إصدارات تتناول موضوع مناهضة السامية الجديدة.

وتوالت الإصدارات التي تحاول الربط بمن مناهضة السامية وبين انتقاد إسرائيل في السنوات اللاحقة، حتى

كانت الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠ نقطة تحوّل في معركة إسرائيل على مستوى العلاقات العامة لتحسين صورتها التي تضررت كثيرا في العالم، بسبب قمعها الشديد للفلسطينيين خلال الانتفاضة.

وشكّل مؤتمر الأمم المتحدة ضد العنصرية في "ديربان"في جنوب أفريقيا عام ٢٠٠١ صدمة لإسرائيل إثر الانتقادات الشديدة التي تعرضت لها.

جاءت الانتفاضة الثانية التي شكلت تحولا في إستراتيجية المدافعين عن إسرائيل.

٣. نقطة التحول الحاسمة

كانت الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠ نقطة تحوّل في معركة إسرائيل على مستوى العلاقات العامة لتحسين صورتها التي تضررت كثيرا في العالم، بسبب قمعها الشديد للفلسطينيين خلال الانتفاضة.

وشكّل مؤتمر الأمم المتحدة ضد العنصرية في "ديربان"في جنوب أفريقيا عام ٢٠٠١ صدمة لإسرائيل إثر الانتقادات الشديدة التي تعرضت لها. وتصف البروفسور في تاريخ اليهود الحديث في جامعة تل أبيب دينا بورات Dina Porat في مقال لها عن التعريف الجديد لمناهضة السامية، أن مؤتمر ديربان عام ٢٠٠١ كان "تظاهرة مناهضة لإسرائيل وللسامية، ولم يتحقق فيه شيء مما كانت تطمح إليه إسرائيل، بل صار المؤتمر جزءا من المشكلة"، واعتبرته بورات "واحدا من أسوأ مظاهر مناهضة لليهود منذ الحرب العالمية الثانية".[٢٢]

وتضيف المحاضِرة الجامعية الإسرائيلية والمختصة في تاريخ اليهود الحديث والتي شاركت في وضع التعريف الجديد لمناهضة السامية، أنه "في عام ٢٠٠٣ نظمت منظمة الأمن والتعاون في أوروبا OSCE مؤتمرا في فيينا، ودعا المشاركون فيه، ولأول مرة، لوضع آليات لمواجهة الوضع سريع التدهور، بسبب ظهور مناهضة للصهيونية في أوروبا الغربية تثير القلق من إمكانية تحولها إلى أعمال عنف ضد مؤسسات الدول الأوروبية، خصوصا أن غياب تعريف ملائم لمناهضة السامية كان محسوسا، لذلك دعا المؤتمر إلى تصحيح هذا الوضع، فتولى المركز الأوروبي لرصد العنصرية ورهاب الأجانب The European Monitoring Centre on Racism and Xenophobia (EUMC) هذه المهمة، وتوصل عام ٢٠٠٥ إلى التعريف الذي سمي "التعريف العملي للمركز الأوروبي لرصد العنصرية ورهاب الأجانب لمناهضة السامية".[٢٣]

وتقول بورات إن تعريفات مناهضة السامية كانت ما بين الأعوام ١٨٧٩ و٢٠٠٥ عبارة عن جهود فردية وذاتية قدمها علماء ومفكرون بناء على طلب مؤسسات تصدر موسوعات أو مراجع أخرى. وجاءت هذه التعريفات ذات طابع أكاديمي ونظري.[٢٤]

وتضيف "جاء تعريف عام ٢٠٠٥ على يد فريق من مفكرين وممثلين لحكومات ومؤسسات، فكان جهدا مشتركا سعى إلى تركيب تعريف مقبول لدى جميع الأطراف، **ليكون نقطة تحول خلال ألف عام من التاريخ الطويل لمناهضة السامية.** ولم يكن هذا الوقت بعيدا عن ظهور ما تسمى مناهضة السامية الجديدة التي استلزمت أسسا عملية لنشاط دولي وتشريعي".[٢٥]

٣,١ النص والجدل

يتضمن التعريف العملي لمناهضة السامية، التعريف الأساسي لمناهضة السامية، وينص على أن "مناهضة السامية هي تصور معين لليهود، يتم التعبير عنه بالكراهية تجاه اليهود، مظاهر مناهضة السامية اللفظية أو المادية يتم توجيهها نحو الأفراد اليهود أو غير اليهود و/أو ممتلكاتهم، ومؤسسات المجتمع اليهودي ومرافقه الدينية".[٢٦]

تحت هذا التعريف يرد النص التالي "بالإضافة لهذا، فإن بعض المظاهر يمكن أن تستهدف دولة إسرائيل، باعتبارها كيانا جامعا لليهود".

لكن الورقة تتضمن أيضا، ١١ بندا، توضح ما يمكن اعتباره ممارسات مناهضة للسامية. وتم تقسيم هذه البنود إلى قسمين، الأول تحت عنوان: نماذج معاصرة لمناهضة السامية في الحياة العامة...، ويتضمن ست نقاط، الأربع الأولى منها تتناول ممارسات مناهضة للسامية تستهدف اليهود لأنهم يهودا، أما الخامسة والسادسة فتنصان على التالي:

- اتهام اليهود كشعب، وإسرائيل كدولة باختراع أو المبالغة في الهولوكوست.
- اتهام المواطنين اليهود بأن ولاءهم لإسرائيل، أو للأولويات المزعومة لليهود في العالم، أكثر من ولائهم لمصالح أوطانهم [الدول التي يعيشون فيها غير إسرائيل].[٢٧]

أما القسم الثاني فيأتي في إطار "أمثلة على المظاهر التي يمكن أن تتجلى فيها مناهضة السامية فيما يخص دولة إسرائيل مع الأخذ بعين الاعتبار أن السياق الشامل يمكن أن يتضمن:

- إنكار حق الشعب اليهودي في تقرير مصيره، مثلا بالادعاء أن وجود دولة إسرائيل هو مبادرة عنصرية.
- اعتماد معايير مزدوجة من خلال مطالبة إسرائيل بالقيام بسلوك غير متوقع أو غير مطلوب من أي أمّة ديمقراطية أخرى.
- استخدام رموز وصور مرتبطة بمناهضة السامية الكلاسيكية (مثل الادعاء بأن اليهود قتلوا المسيح، أو فرية الدم) لوصف إسرائيل أو الإسرائيليين.
- إجراء مقارنة بين سياسة إسرائيل الحالية وتلك النازية.
- اعتبار اليهود بشكل جماعي مسؤولين عن ممارسات دولة إسرائيل.[٢٨]

وعلى الرغم من أن هذه العبارات فضفاضة بحد ذاتها، أضاف واضعو هذا التعريف إشارة فضفاضة أيضا، تنص على "ومع ذلك، فإن انتقاد إسرائيل بطريقة مشابهة لما تتعرض له أي بلد أخرى من انتقادات لا يمكن أن يعتبر مناهضا للسامية".[٢٩]

مؤتمر ديربان: انعطافة حادّة.

٣,٢ مكافحة مناهضة السامية.. أم قمع منتقدي إسرائيل؟

الخطر في هذا التعريف هو أنه يمكّن المدافعين عن إسرائيل من اتهام كل من ينتقدها في أي سياق تقريبا، بأنه مناهض للسامية، فالبنود الفضفاضة المتعلقة بإسرائيل مثل البند الوارد في القسم الأول والذي ينص على "اتهام المواطنين اليهود بأنه أكثر ولاء لإسرائيل... أكثر من ولائهم لمصالح أوطانهم"، هذا النص يكفي لوصم من يتهم منظمات اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة مثل (لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية – أيباك)، بالعمل لصالح إسرائيل أكثر مما لصالح الولايات المتحدة، بتهمة مناهضة السامية. كذلك البند الوارد في القسم الثاني والذي ينص على "إنكار حق الشعب اليهودي في تقرير مصيره، مثلا بالادعاء أن وجود دولة إسرائيل مسعى عنصري"، سيجعل كل من ينتقد أو يتهم إسرائيل بارتكاب بجرائم حرب وتطهير عرقي ضد الفلسطينيين بدءا من عام ١٩٤٧ وصاعدا، عرضة لتهمة مناهضة السامية. كذلك فإن البند الذي ينص على "اعتماد معايير مزدوجة من خلال مطالبة إسرائيل بالقيام بسلوك غير متوقع أو غير مطلوب من أي أمّة ديمقراطية أخرى"، لا يحدد المعايير، من ناحية، ولا يأخذ بعين الاعتبار أن إسرائيل، في سياق الاحتلال لا يمكن أن تكون ديمقراطية، –هذا إن اسقطنا الجدل في إسرائيل حول عنصريتها الداخلية ضد من هم من غير اليهود الأوروبيين بشكل عام– وضد العرب بشكل خاص، من ناحية ثانية.

خلال إعداد رسالة الماجستير حول استخدام تهمة مناهضة السامية لقمع منتقدي إسرائيل كقوة احتلال، وردت معلومة في

ينص التعريف العملي لمناهضة السامية على أن "مناهضة السامية هي تصور معين لليهود، يتم التعبير عنه بالكراهية تجاه اليهود، مظاهر مناهضة السامية اللفظية أو المادية يتم توجيهها نحو الأفراد اليهود أو غير اليهود و/ أو ممتلكاتهم، ومؤسسات المجتمع اليهودي ومرافقه الدينية"، ويرد أيضا "بالإضافة لهذا، فإن بعض المظاهر يمكن أن تستهدف دولة إسرائيل، باعتبارها كيانا جامعا لليهود".

خبر لصفحة Electronic Intifada حول استخدام مناصري إسرائيل تعريفا ليس معتمدا، لمناهضة السامية.[٣٠] وكان التعريف المشار إليه هو التعريف الذي تمحورت حوله دراستي.

٣,٣ التخلي عن التعريف

وللتأكد من صحة المعلومات الواردة في الخبر، قمت بمراسلة Fundamental Rights Agency (FRA)، (الوكالة التي تولت عام ٢٠٠٧ مهام European Monitoring Centre on Racism and Xenophobia (EUMC)) الذي أصدر التعريف، موجها لهم سؤالا حول مكانة التعريف المشار إليه لدى الوكالة. وكان الرد مفاجئا بتأكيد المعلومة، وجاء فيه:

"التعريف العملي لمناهضة السامية"هو وثيقة تاريخية ليست لها صفة قانونية [a historical non-legal document]، ونشرت من قبل EUMC. كان الهدف من هذه الوثيقة توفير دليل يعرّف الحوادث، ويجمع المعلومات، ويدعم تنفيذ التشريعات التي تتعامل مع مناهضة السامية. وكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية FRA كوريث لـ EUMC، ليست هيئة مفوضة بتحديد معايير، لذلك ليس لها أي تفويض تشريعي لإصدار تعريفات، أو لإقرار معايير وطنية و/أو دولية".[٣١]

بناء على إقرار FRA أن "التعريف العملي لمناهضة السامية"هو وثيقة تاريخية ليست لها صفة قانونية، سألت الوكالة عن موقفها تجاه ادعاء منظمات صهيونية مثل CIFwatch (حاليا UK Media Watch وهو مرصد صهيوني يراقب ويوثق بشكل يومي ما ينشر في وسائل الإعلام البريطانية حول إسرائيل، ويعمل على الرد على الانتقادات الموجهة لها)، أن "الوكالة الأوروبية للحقوق الأساسية FRA دعت كل الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي لاستخدام هذا التعريف كقاعدة للتعامل مع مناهضة السامية (...)، فالتعريف العملي الذي تم إقراره من قبل مجلس إدارة FRA الذي يضم ٢٧ مندوبا عن ٢٧ دولة أوروبية (...) يمكن الافتراض وبشكل منطقي أنه يعكس وجهات نظر كل واحدة من تلك الحكومات."[٣٢]

في ١٤ نيسان ٢٠١٣ بعثت رسالة الكترونية إلى الوكالة الأوروبية للحقوق الأساسية FRA ضمنها النص التالي:

خلال عملية البحث في دراستي وجدت النص التالي أدناه على هذه الصفحة الالكترونية: http://cifwatch.com/how-we-define-antisemitism, ، (يشير النص إلى دعوة المركز الاتحاد الأوروبي لتبني التعريف) وأريد تعليقا من طرفكم حول المعلومات أدناه.

هل قامت FRA بدعوة كل الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي لاستخدم التعريف العملي الصادر عام ٢٠٠٥ من قبل المركز الأوروبي لمراقبة العنصرية ورهاب الشعوب (EUMC) كقاعدة للتعامل مع مناهضة السامية؟ إن كانت الإجابة نعم، فهل يمكنني الحصول على نسخة من هذه الرسالة أو الدعوة؟

رد FRA كان مفاجئا أيضا، وجاء فيه: "نود إبلاغك أن FRA لم تتخذ أي إجراء من هذا القبيل، EUMC في السابق قام بإبلاغ مسؤولي التنسيق (الدول الأعضاء) بالوثيقة وطلب منهم رأيهم [فيها]. البعض رد أن لدى دولته مبادئ إرشادية وطنية لجمع المعلومات حول جرائم الكراهية. ولم تتخذ أي إجراءات أخرى".[٣٣]

وهذا إقرار رسمي من الوكالة أن التعريف ليس رسميا،

لا تعتبر المؤسسة الأوروبية الرسمية التي حددت لـ ٤٧ دولة أوروبية عضوا في المجلس الأوروبي الممارسات الفعلية واللفظية التي تعتبر ممارسات مناهضة للسامية (وتشكل مخالفة قانونية)، انتقاد إسرائيل أو الصهيونية ضمن هذه الممارسات.

وليس معتمدا، ولم يوجه المركز ولا الوكالة لاحقا دعوة للدول الأوروبية لتبنيه.

أشارت رسالة FRA أيضا إلى أن المفوضية الأوروبية لمكافحة العنصرية والتعصب European Commission against Racism and Intolerance (ECRI) هي التي طورت تعريفات مصطلحات: العنصرية، ورهاب الأجانب والتعصب. كما أشارت إلى أنها تطبق مفهوم التمييز على أساس الأصل العرقي أو الإثني حسبما ورد في تعليمات مجلس الاتحاد الأوروبي المسماة (تعليمات المساواة العرقية).

ولمعرفة تعريف مصطلح مناهضة السامية لدى (ECRI)، أرسلت رسالة الكترونية إلى المفوضية حملت التساؤل التالي:

"بما أن مفوضيتكم "تتلقى تقارير الدول وتوصياتها فيما يتعلق بمكافحة العنصرية، والتمييز العنصري، ورهاب الشعوب، ومناهضة السامية والتعصب")حسبما ذكرت المؤسسة على موقعها الالكتروني في وصف طبيعة عملها(، [٣٤] فبودي معرفة التعريف الرسمي لمناهضة السامية المعتمد لدى المفوضية".[٣٥]

بتاريخ ٥ آذار ٢٠١٣ تلقى الباحث رسالة الكترونية من باولا إيك–وولترز Paula Eck-Walters المسؤولة في قسم التوثيق في الأمانة العامة للمفوضية الأوروبية لمكافحة العنصرية والتعصب، جاء فيها:

"حسب علمي، فإنه ليس لدى ECRI تعريفها الخاص بمناهضة السامية والذي يمكن حصره في جملة واحدة (..) بالنسبة لـ ECRI مناهضة السامية هي شكل من أشكال العنصرية. ECRI تعرف العنصرية على أنها اعتقاد على خلفية العرق أو اللون أو اللغة أو الدين أو الجنسية أو الأصل القومي أو الإثني يبرر احتقار شخص أو مجموعة من الأشخاص، أو مفهوم تفوق شخص أو مجموعة من الأشخاص. في حالة مناهضة السامية ستكون الحالة هي [العنصرية] على أساس الدين أو الأصل العرقي. عام ٢٠٠٤ تبنت ECRI توصيات السياسات العامة ووجهتها لحكومات الدول الـ٤٧ الأعضاء في المجلس الأوروبي فيما يتعلق بمكافحة مناهضة السامية. الجزء المتعلق بأحكام القانون الجنائي لدى الدول في التوصيات يشير إلى الممارسات التي تعتبر مناهضة للسامية كاعتداءات جنائية ارتكبت ضد شخص أو مجموعة أشخاص على خلفية هويتهم أو ديانتهم اليهودية، وهذا الجزء يقطع شوطا مقبولا في شرح فكرة مناهضة السامية.[٣٦]

تضم التوصيات تسعة بنود[٣٧] تركز كلها على مناهضة السامية الكلاسيكية فقط، ولا تتضمن أي إشارة تتعلق بالموقف من إسرائيل أو الصهيونية. بمعنى أن المؤسسة الأوروبية الرسمية التي حددت لـ ٤٧ دولة أوروبية عضوا في المجلس الأوروبي الممارسات الفعلية واللفظية التي تعتبر ممارسات مناهضة للسامية (وتشكل مخالفة قانونية)، لا تعتبر انتقاد إسرائيل أو الصهيونية ضمن هذه الممارسات.

٣,٤ الاحتجاج الصهيوني

بعد ثمانية شهور من المراسلات مع FRA، والتي تضمنت الإشارة إلى ادعاء منظمات صهيونية أن الوكالة دعت إلى تبني الدول الأوروبية التعريف العملي لمناهضة السامية، والمؤرخة في ١٤ نيسان ٢٠١٣، وهو ما نفته الوكالة في ردها بتاريخ ١٧ نيسان ٢٠١٣، شطبت FRA التعريف العملي لمناهضة السامية عن موقعها الالكتروني.

ونسب موقع Times of Israel إلى مدير البرامج في الوكالة بلانكا تابيا Blanca Tapia في ردها على تساؤلات من قبل وكالة الأنباء اليهودية Jewish Telegraphic Agency حول شطب التعريف، قولها "لسنا على علم بوجود تعريف رسمي [لمناهضة السامية]".[٣٨]

في التقرير الصحافي ذاته ذكرت Times of Israel أن من يقودون الحملات ضد مناهضة السامية يقولون إن الوثيقة مهمة لأنها –إلى جانب الممارسات المناهضة للسامية الكلاسيكية– تضع قائمة من الممارسات التي تهدف إلى تشويه سمعة إسرائيل والتي يسميها بعض المفكرين بـ"مناهضة السامية الجديدة". لكن تابيا قالت إن وكالتها لم تعرض الوثيقة باعتبارها تعريفا معتمدا.[٣٩]

وعلق شمعون صامويلز من مركز "سيمون وايزنثال"المتخصص في مكافحة مناهضة السامية، والدفاع عن إسرائيل، على شطب التعريف من موقع FRA بالقول "إن تخليهم عن تعريفهم أمر صادم.. وقد خسر من يكافحون مناهضة السامية سلاحا مهما.. وستتضرر سمعة الاتحاد [الأوروبي] بتخليه عن التعريف".[٤٠]

لكن تابيا ردت على هذه التعليقات بالقول إن "الوكالة لا تحتاج أن تطور تعريفا خاصا بها لمناهضة السامية من أجل البحث في القضايا المتعلقة بها.. والوكالة لم تطور تعريفات لمصطلحات أخرى، لكنها تستخدم هذه المصطلحات بناء على التعريف العالمي لها".[٤١]

أشار "المنتدى التنسيقي لمكافحة مناهضة السامية"The Coordination Forum for Countering Antisemitism (CFCA) إلى شطب التعريف أيضا، وقال في بيان إن التعريف استخدم من قبل وحدات منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) التي تعمل على مكافحة مناهضة السامية، وكذلك استخدم في التقرير السنوي لوزارة الخارجية الأميركية [Global Anti-Semitism Review].[٤٢]

وتضمن ما نشره CFCA أيضا تفسير وكالة FRA لشطب التعريف بالقول إن تعريف مناهضة السامية كان "ورقة للنقاش.. ولم يتم تبنيها أبدا من قبل الاتحاد الأوروبي كتعريف عملي على الرغم من أنها كانت موجودة على موقع الوكالة، حتى وقت قريب، وتم شطبها ضمن عملية للتخلص من كل الوثائق غير الرسمية".

صحيفة The Guardian البريطانية علقت على شطب FRA تعريف مناهضة السامية العملي عن موقعها بالقول إنه "لا يوجد في التعريف المطوّل ما يمكن الاعتراض، باستثناء "قرصة"خطيرة في نهايته، فتضخيم هذا التعريف مقارنة بالتعريف البسيط المعروف منذ ٢٠٠٠ عام حول كراهية اليهود، يسعى إلى تصيد من ينتقدون إسرائيل.. عبر مطالبة إسرائيل بالقيام بسلوك غير متوقع أو غير مطلوب من أي أمّة ديمقراطية أخرى، أو اعتبار اليهود بشكل جماعي مسؤولين عن ممارسات دولة إسرائيل". هذه الإضافة المثيرة للشكوك استخدمت مؤخرا لإسكات، أو على الأقل لكتم حرية التعبير لمعظم الانتقادات الموجهة لإسرائيل في وسائل الإعلام في المملكة المتحدة وخارجها.[٤٣]

٣,٥ بين الشطب والتبني

شهدت السنوات التي تلت شطب تعريف مناهضة السامية تطورات كثيرة، فيما يخص التعريف ومكانته، فبعد تخلي FRA عنه، تبناه التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست The International Holocaust Remembrance Alliance IHRA، بصيغة تكاد تكون مطابقة للنسخة الصادرة عن EUMC، مع تعديل طفيف في موقع الجملة التي تقول (ومع ذلك، فإن انتقاد إسرائيل بطريقة مشابهة لما تتعرض له أي بلد أخرى من انتقادات لا يمكن أن يعتبر مناهضة للسامية)، إذ تم تقديم موقع الجملة من نهاية ورقة التعريف، إلى مقدمة الورقة بعد فقرة التعريف الأولى.[٤٤]

ويعرف IHRA نفسه بأنه منظمة "توحد الحكومات والخبرات لتعزيز وتطوير ونشر التثقيف والأبحاث وإحياء ذكرى الهولوكوست".[٤٥] كما تشير إلى إنها تضم ٣٤ دولة عضوا فيه. وسنأتي إلى ذكر IHRA لاحقا.

٤. استخدامات تطبيقية للتعريف.. والجدل حولها

اعتمدت إدارة الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش عام ٢٠٠٤ تعريف EUMC لمناهضة السامية، ضمن قانون رصد الممارسات العالمية المناهضة للسامية Global Anti-Semitism Review Act. وجاء في البند العاشر من الفقرة الثانية في نص القانون ربط مباشر بين مناهضة السامية والتحريض على الصهيونية وإسرائيل. تنص الفقرة على أن "مناهضة

اعتمدت إدارة الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش عام ٢٠٠٤ تعريف EUMC لمناهضة السامية، ضمن قانون رصد الممارسات العالمية المناهضة للسامية، وجاء في البند العاشر من الفقرة الثانية في نص القانون ربط مباشر بين مناهضة السامية والتحريض على الصهيونية وإسرائيل.

السامية اتخذت في بعض الأحيان شكل تشويه الصهيونية، والحركة الوطنية اليهودية، والتحريض ضد إسرائيل".[٤٦]

وفي السادس من آب ٢٠١٢ أقر كونغرس ولاية كاليفورنيا الأميركية قانونا يسعى لمنع التمويل الفيدرالي للجامعات التي تمارس مناهضة السامية، عبر تنظيم نشاطات قد تجعل الطلبة اليهود يشعرون بأنهم مستهدفون، لكن القرار عمليا يستهدف الفعاليات المناهضة للاحتلال الإسرائيلي والمؤيدة للحقوق الفلسطينية، وينص القانون HR:35 في ديباجته على أن من الممارسات التي تعتبر مناهضة للسامية: "المتحدثون والأفلام والمعارض التي يموّلها الطلبة، والجامعة، والمجموعات [من مجتمع جامعة ولاية كاليفورنيا] التي تشارك في الخطاب المناهض للسامية أو تستخدم الاستعارات أو اللغة التي توجه تهما زائفة لإسرائيل والصهيونيين واليهود، بما في ذلك أن إسرائيلَ دولةُ عنصريةٍ وفصلٍ عنصريٍ ودولة نازيةٍ، وأنها مذنبة بارتكاب جرائم ضد الإنسانية مثل التطهير العرقي والإبادة الجماعية (...) وأنها بالغت في استخدام الهولوكوست كأداة للدعاية الصهيونية وأن لليهود في أميركا قوة كبيرة في السيطرة على السياسة الأميركية الخارجية".[٤٧]

تضمن القانون المذكور فقرات كاملة من تعريف EUMC العملي لمناهضة السامية. ويلاحظ أن نص قانون كونغرس ولاية كاليفورنيا، لا يفرق بين انتقاد ممارسات إسرائيل كدولة أو نظام سياسي، ونشاطات المنظمات الصهيونية المؤيدة لها وطرق تجنيدها للدعم السياسي وحتى المالي من جهة، وبين الممارسات العنصرية تجاه اليهود كعرق أو دين من جهة أخرى.

وضمن دفاع أعضاء كونغرس كاليفورنيا عن إسرائيل جاء في ديباجة القانون أن "مناهضة السامية في بعض فروع الجامعة تأتي تحت غطاء انتقاد إسرائيل، وعلى الكليات والجامعات أن تضمن أن يكون الطلبة محميين من أي نشاطات قد تخلق بيئة مناهضة للسامية"،[٤٨] في إشارة إلى الفعاليات المؤيدة للحقوق الفلسطينية والمناهضة للاحتلال في جامعة ولاية كاليفورنيا.

يلاحظ في هذا النص أن كلمة إسرائيل تكررت ١٤ مرة.

وإثر الجدل الحاد الذي أثير حول القرار HR-35، أعلنت جامعة كاليفورنيا أنها لن تلتزم به. وقال رئيس الجامعة مارك يودوف حينئذ "إنه لن ينتهك الدستور"[٤٩] عبر تطبيق هذا القانون. ويودوف خبير في التعديل الأول [في الدستور الأميركي الذي يكفل حريات التعبير].

وفي عام ٢٠١٧ أقر الكونغرس في ظل إدارة دونالد ترامب قانون مكافحة مناهضة السامية في أوروبا COMBATING EUROPEAN ANTI-SEMITISM ACT OF 2017، وذكرت كلمة إسرائيل فيه ٤ مرات ضمن بنود نقلت من التعريف العملي لمناهضة السامية المنسوب حاليا للتحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست IHRA.

وجاء في البند السادس، في الفقرة الثالثة، من نص القانون أن "وزارة الخارجية الأميركي ستواصل العمل على تشجيع تبني المؤسسات الحكومية الوطنية والمؤسسات متعددة الأطراف تعريفا عمليا لمناهضة السامية، مشابها للتعريف المعتمد لدى التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست IHRA".[٥٠]

ورغم تبني هذا التعريف احتج مفكرون أميركيون، ضده باعتبار أنه يتعارض مع التعديل الثاني في الدستور الأميركي الذي يحمي حق التعبير عن الرأي. فقد أرسلت مجموعة "علماء كاليفورنيا من أجل الحرية الأكاديمية" California Scholars

for Academic Freedom رسالة لأعضاء كونغرس الولاية الذين صاغوا أو شاركوا في صياغة القرار. تقول الرسالة: "القرار يشكل تهديدا واضحا للحرية الأكاديمية في جامعة كاليفورنيا وفي أنظمة جامعات ولاية كاليفورنيا."[٥١]

وتقتبس الرسالة من نص القرار فقرة مما يمكن وصفه بأنه عمل مناهض للسامية تتضمن "الخطاب في حرم الجامعة الذي يصف إسرائيل بأنها دولة عنصرية أو أبارتهايد."وتعلق الرسالة على الفقرة بالقول إن "القرار HR-35 يدعو بشكل ضمني للرقابة على المحاضرات والعروض المنتقدة لإسرائيل، والتي قد يقدمها حائزون على جائزة نوبل للسلام، مثل جيمي كارتر ودزموند توتو، وميريد ماغواير، وجميعهم استخدموا مصطلح "الفصل العنصري"في وصف إسرائيل أو سياساتها. الكاتبة الشهيرة أليس ووكر، جنبا إلى جنب مع أعضاء آخرين في محكمة راسل المرموقة، يمكن أيضا أن يُمنعوا [من دخول] حرم جامعات كاليفورنيا إذا التزم مديروها بتوصيات القرار."[٥٢]

وكتبت مجموعة "الدعم القانون لمناصرة فلسطين"Palestine Solidarity Legal Support رأيا يعتبر ربط وزارة الخارجية الأميركية مناهضة السامية بانتقاد إسرائيل، أمرا إشكاليا، خصوصا أن هذا الربط يعزز الضبابية التي لا تفصل بين انتقاد إسرائيل كدولة وبين مناهضة السامية.[٥٣]

٥. أبرز المروجين للتعريف

٥,١ رابطة مكافحة التشهير ADL

بدأت رابطة مكافحة التشهير Antidefamation League ADL عملها في الولايات المتحدة عام ١٩١٣، على يد المحامي سيجموند ليفينجستون، وتصف مهمتها بأنها "وقف التشهير بالشعب اليهودي، وضمان العدالة والمعاملة العادلة للجميع...".[٥٤]

وفيما تضع المنظمة على رأس أجندة عملها بند "مكافحة مناهضة السامية"، تشير في البند الرابع إلى "الوقوف إلى جانب إسرائيل".[٥٥]

وتحت هذا البند تقدم الرابطة إرشادات أو دليليْ عمل، الأول يتضمن خطة عمل تربط بشكل واضح بين مناهضة السامية، والفعاليات المناهضة لإسرائيل في الجامعات. أما الثاني فيأتي تحت عنوان "إسرائيل: دليل إرشادي للناشطين". وتقدم فيه ما تصفها بأنها "حقائق عن إسرائيل، وأدوات للدفاع عنها".[٥٦]

أما تحت دليل العمل الثاني الذي جاء بعنوان "النشاطات المعادية لإسرائيل وحركة BDS، فتذكر صراحة دورها في محاربة "حركة مقاطعة إسرائيل وفرض العقوبات عليها وسحب الاستثمارات منها BDS".[٥٧]

ولتوضيح موقف ADL من الاحتلال، تفرد الرابطة مثلا فقرة خاصة بموقفها من الاستيطان، تقول فيها إن المستوطنات، أي التجمعات اليهودية التي أقيمت في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد استيلاء إسرائيل على المناطق في حرب ١٩٦٧ لا تنتهك القانون الدولي".[٥٨]

يشير البروفسور نوعام تشومسكي إلى دور رابطة مكافحة التشهير في الدفاع عن إسرائيل في كتابه :Fateful Triangle The United States, Israel, and the Palestinians، ويستعرض فيه بشكل مفصل عدة نماذج تدافع فيها الرابطة حتى عن الحروب التي شنتها إسرائيل ضد لبنان، وعن احتلالها الأراضي الفلسطينية.

ويجمل تشومسكي مكانة رابطة مكافحة التشهير في إسرائيل، بالقول إنها توصف كـ"واحدة من الركائز الأساسية"للدعاية الإسرائيلية في الولايات المتحدة.[٥٩]

وفي نشرة أصدرتها منظمة "مسلمون أميركيون من أجل فلسطين"American Muslims for Palestine AMP حول طبيعة دور رابطة مكافحة التشهير في الدفاع عن إسرائيل، تشير AMP إلى أنه وفي ظل "تنامي الوعي حول الاحتلال في فلسطين، –خصوصا فيما يتعلق بحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات على إسرائيل–، تكثف رابطة مكافحة التشهير من جهودها لمنع وصول المعلومات إلى الجمهور الأميركي، وأشد أسلحتها هو اتهام الأفراد والمنظمات أو المؤسسات التي تعمل لصالح الحقوق الفلسطينية، بمناهضة السامية. وتشير منظمة "مسلمون أميركيون من أجل فلسطين"في نشرتها إلى موقف قاض فيدرالي أميركي في نص قرار حكمه في قضية ضد الرابطة عام ٢٠٠١، قال فيه إن "رابطة مكافحة التشهير لها مكانة فريدة تمنحها القدرة على التسبب بضرر جوهري للأفراد عندما تدعم اتهامهم بمناهضة السامية".[٦٠]

وعن التعريف العملي لمناهضة السامية، تشير ADL إلى التعريف الكلاسيكي لمناهضة السامية- لكنها تربطه في سياق توضيح الممارسات المناهضة للسامية بالانتقادات التي توجه لإسرائيل.[٦١]

وتشير في جهودها لمكافحة مناهضة السامية العالمية إلى التعريف العملي لمناهضة السامية المعتمد لدى التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست IHRA لتحديد ما يمكن اعتباره ممارسات مناهضة للسامية.[٦٢]

كما تتوفر في موقع الرابطة الالكتروني عشرات بيانات الترحيب منها بقرارات تبني دول أو منظمات هذا التعريف.[٦٣]

٥,٢ مركز سيمون وايزينثال Simon Wiesenthal Center

يصف القائمون على مركز سيمون وايزينثال على صفحته الالكترونية بأنه "منظمة حقوق إنسان يهودية عالمية تسعى لمواجهة مناهضة السامية والكراهية والإرهاب، وتعزيز حقوق الإنسان وكرامته، ودعم إسرائيل، والدفاع عن سلامة جميع اليهود في أنحاء العالم، وتعليم الدروس المستفادة من محرقة اليهود للأجيال القادمة. وللمركز مقر رئيسي في لوس انجلوس، ومكاتب في نيويورك وتورنتو وميامي وشيكاغو وباريس وبوينس آيرس، والقدس."[٦٤]

ويركز المركز على حركة مقاطعة إسرائيل BDS أيضا، ويحاول إلصاق تهمة مناهضة السامية بها، بالادعاء أن "BDS عادة ما تتجاوز الخط الأحمر للانتقاد الشرعي لسياسات الحكومة الإسرائيلية إلى لغة مسمومة تشيطن دولة اليهود ومؤيديها في كل مكان".[٦٥]

٥,٣ اللجنة اليهودية الأميركية AJC

شاركت اللجنة اليهودية الأميركية American Jewish Committee – AJC ضمن المنظمات الصهيونية التي عملت على وضع التعريف العملي لمناهضة السامية. وتشير AJC إلى أهمية التعريف وتفرد له نشرة خاصة بعنوان "التعريف العملي لمناهضة السامية: ماذا يعني؟ لماذا هو مهم؟ وماذا يجب أن نفعل به؟.[٦٦]

وتذكر أن هذا التعريف مهم في تحديد الممارسات المعادية لإسرائيل التي يمكن أن توضع في إطار مناهضة السامية. كما تشير إلى عدد من المؤسسات الأكاديمية والبحثية في أميركا وأوروبا التي تعتمد التعريف وتستخدمه في تحديد الممارسات المناهضة للسامية. كما تقول إن ٥٧ دولة تستخدم ما ورد في التعريف كمعايير لجمع البيانات المتعلقة بالممارسات المناهضة للسامية.

٥,٤ التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست IHRA

نظم التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست IHRA مؤتمرا دوليا في القدس المحتلة بتاريخ ٢٣ كانون الأول ٢٠٢٠، تحت عنوان "يوم إحياء ذكرى الهولوكوست في القدس International Holocaust Remembrance Day in Jerusalem، بمشاركة قادة من أربعين دولة.

وسبقت الإشارة إلى أن هذا المركز تبنى عام ٢٠١٦ تعريف مناهضة السامية العملي بعد تخلي FRA عنه.[٦٧]

واستغل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو المؤتمر في خطابه، للربط المباشر بين مناهضة السامية، ومناهضة الصهيونية.[٦٨]

وبات التعريف العملي لمناهضة السامية مرتبطا حاليا بالتحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست IHRA، ويسمى عند الإشارة إليه بـ"تعريف التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست العملي لمناهضة السامية".

٦. حزب العمال البريطاني وتبني تعريف مناهضة السامية.. نموذج على الجهد الصهيوني

عُرف عن زعيم حزب العمال البريطاني السابق جيريمي كوربن، انتقاداته الشديدة لإسرائيل وتأييده للحقوق الفلسطينية، الأمر الذي دفع إسرائيل ومنظمات صهيونية إلى توجيه انتقادات شديدة له واتهامه شخصيا بمناهضة السامية، والعمل على الإطاحة به. وسبق الانتخابات لزعامة حزب العمال الأخيرة التي خسرها كوربين في بداية شهر نيسان ٢٠٢٠، تبني حزب العمال التعريف العملي لمناهضة السامية بكافة بنوده في أيلول ٢٠١٨. ورفض الحزب ملاحظات طلب كوربين إضافتها في القرار تتعلق بالحق في انتقاد إسرائيل، لكن حزب العمال أصدر بيانا منفصلا تحدث فيه عن حرية التعبير فيما يتعلق بإسرائيل والحقوق الفلسطينية.[٦٩]

وأشار تقرير نشره موقع Middle East Eye إلى إمكانية وقوف وزراتي الخارجية والشؤون الإستراتيجية الإسرائيليتين وراء الحملة التي تعرض لها كوربين وأدت إلى الإطاحة به. وذكر التقرير أن مجموعة إسرائيلية تضم ناشطين حقوقيين ومحاضرين جامعيين طلبت الحصول على معلومات من الحكومة البريطانية حول تدخل حكومة بنيامين نتنياهو في الشؤون السياسية البريطانية عبر استهداف إسرائيل

ومؤيديها لجيريمي كوربين، ضمن حملة أكبر للمس بالناشطين في حملة مناصرة الحقوق الفلسطينية في بريطانيا.[٧٠]

الخلاصة

يمثل تعريف مناهضة السامية أداة مهمة لقمع منتقدي إسرائيل. فتهمة مناهضة السامية خصوصا في الغرب تعتبر وصمة قد تقضي على الحياة المهنية لمن يتم إلصاقها به، وهنا تجدر الإشارة إلى ملاحظتين:

١. على الرغم من تضمين التعريف نصا ضبابيا جدا حول شرعية "انتقاد إسرائيل فيما يمكن انتقاد الدول الديمقراطية الأخرى"، لكن التطبيق العملي لهذا التعريف، من ناحية، والضغوط الهائلة التي تمارسها المنظمات الصهيونية المتفرغة للدفاع عن إسرائيل من ناحية ثانية، تشير إلى أهميته كسلاح يتم التلويح به في وجه منتقدي سياسة إسرائيل حتى عندما يتعلق الأمر بالاحتلال بهدف إسكاتهم.

ولن نجد اعترافا صريحا بذلك، أكثر مما كتبه كينيث ستيرن في صحيفة الـ"غارديان"البريطانية، إذ أقر في مقال له، أنه هو الذي صاغ التعريف العملي لمناهضة السامية قبل خمسة عشر عاما ضمن عمله مع اللجنة اليهودية الأميركية AJC، التي كانت شريكا مع EUMC وغيرها من الأطراف والخبراء في وضع التعريف، لكنه عندما وضع صياغة التعريف كان يهدف إلى حماية اليهود من الممارسات المعادية لهم، وتوفير آليات لرصد الممارسات المناهضة للسامية، ولم يكن يستهدف أبدا قمع حريات التعبير.[٧١]

ويضيف ستيرن في مقدمة مقاله إن الأمر التنفيذي رقم١٣٨٩٩ الصادر عن الرئيس الأميركي دونالد ترامب بتاريخ ١١ كانون الأول ٢٠١٩ تحت عنوان "مكافحة مناهضة السامية"،[٧٢] تعدى هذه الأهداف، عبر استخدامه في تحديد الممارسات التي قد تعتبر مناهضة للسامية من وجهة نظر إدارة ترامب في الجامعات الأميركية؛ ما يعني أن الأمر التنفيذي هذا يشكل "اعتداء على الحريات الأكاديمية وحرية التعبير، ولن يؤذي المناصرين للقضية الفلسطينية فقط، بل أيضا الطلبة اليهود والمحاضرين والتعليم الأكاديمي بحد ذاته".[٧٣]

وستيرن مدير مركز BARD لدراسات الكراهية، ومؤلف كتاب "الصراع على الصراع: الجدل الفلسطيني الإسرائيلي في الجامعات"The Conflict Over the Conflict: The Israel/Palestine Campus Debate.

٢. رصد كل التغيرات المتعلقة بمناهضة السامية أمر صعب جدا، وحسب المتابعة اليومية لا يكاد يخلو يوم واحد من الإشارة إلى التعريف أو إلى الربط بين مناهضة السامية وانتقاد إسرائيل، عبر الكثير من المقالات والدراسات التي يعمل المدافعون عن إسرائيل على إعدادها، فضلا عن تحقيق مناصري إسرائيل والمدافعين عنها حتى بصفتها دولة قائمة بالاحتلال، نجاحات عبر الضغط على الحكومات الأجنبية والمنظمات الدولية لتبني التعريف. وحسب اللجنة اليهودية الأميركية AJC فقد تبنى بين عامي ٢٠١٧ – ٢٠٢٠ أكثر من عشرين دولة أوروبية التعريف العملي لمناهضة السامية بشكل رسمي، أو دعت برلمانات وحكومات هذه الدول إلى تبنيه.[٧٤]

الهوامش

1. https://www.merriam-webster.com/dictionary/antisemitism.
2. Hanna Arendt, *The origins of totalitarianism*, 2nd Edition, (Cleveland and New York: The World Publishing Company, 1958), p 4.
3. Arendt, p 4
4. Arendt, p 5
5. Arendt, p 5
6. Arendt, p 5-6
7. JeanPaul Sartre, *Anti-Semite and Jew*, (Translated by George J. Becker), (New York, Schocken Books, 1944), p-p 9-10.
8. Sartre, p 10
9. Sartre, p 10
10. Natan Sharansky, "On Hating the Jews", *Commentary*, (November 2003),

    https://www.commentarymagazine.com/articles/natan-sharansky-3/on-hating-the-jews/

١١. ماير فلنر وآخرون. دراسات في الصهيونية. (القدس: منشورات صلاح الدين. ١٩٧٦).

١٢. ثيودور **هرتسل، الدولة اليهودية** (ترجمة محمد فاضل) (بدون عنوان واسم الناشر والسنة). الصيغة الأصلية نشرت في سنة ١٨٩٤

١٣. برنار لازار، **مناهضة السامية: تاريخها وأسبابها**. (ماري شهرستان، مترجمة ٢٠٠٤). الطبعة الأولى. (دمشق: دار الأوائل، ١٨٩٤).

14. Leon Pinsker, "Auto Emancipation", (1882), Jewish Virtual Library.

    https://www.jewishvirtuallibrary.org/quot-auto-emancipation-quot-leon-pinsker.

15. Pinsker, 1882
16. Pinsker, 1882
17. Noam Chomsky. Fateful Triangle: *The United States, Israel, and the Palestinians*, (London: Pluto Press, 1999), p 59.

١٨. نورمان فنكلستاين، **صناعة الهولوكوست: تأملات في استغلال المعاناة اليهودية**. الطبعة الأولى. (بيروت: دار الآداب، 2001).

19. Chomsky. p 59.
20. Arnold Forster, Benjamin R. Epstein, *The New Anti-Semitism*. 1st Edition, (New York: Mc-Graw-Hill, 1974).
21. Forster and Epstein, p 313.
22. Dina Porat, "The International Working Definition of Antisemitism and Its Detractors", Israel Journal of Foreign Affairs, 5 (2011), pp 93-101.

    http://www.kantorcenter.tau.ac.il/sites/default/files/DinaPorat5%209_0.pdf

23. Dina Porat
24. Dina Porat
25. Dina Porat.
26. European Union Agency for Fundamental Rights. Working Definition of Anti-Semitism. Retrieved April 28, 2011, from : http://fra.europa.eu/en/publication/2011/working-definition-antisemitism
27. European Union Agency for Fundamental Rights. Working Definition….
28. European Union Agency for Fundamental Rights. Working Definition…..
29. European Union Agency for Fundamental Rights. Working Definition…..
30. White, B. (2012). *Israel lobby uses discredited anti-Semitism definition to muzzle debate*. Retrieved Sep. 28, 20012 from: http://electronicintifada.net/content/israel-lobby-uses-discredited-anti-semitism-definition-muzzle-debate/11716.
31. European Union Agency for Fundamental Rights - FRA (media@fra.europa.eu). Re: The Definition of Anti-Semitism. E-mail to Khaldoun Barghouti. (k_barghouti@hotmail.com) (12 October, 2012).
32. https://camera-uk.org/2013/10/31/in-praise-of-the-eu-working-definition-of-antisemitism/
33. European Union Agency for Fundamental Rights - FRA (media@fra.europa.eu) (2013, April, 17). RE: Another Question. E-mail to Khaldoun Barghouti. (k_barghouti@hotmail.com).
34. https://www.coe.int/en/web/european-commission-against-racism-and-intolerance/country-monitoring
35. Khaldoun Barghouti. (k_barghouti@hotmail.com). (2013, February, 27). The Definition of Anti-Semitism. E-mail to European Commission Against Racism and Intolerance (ECRI) (ecri@coe.int).
36. "European Commission Against Racism and Intolerance (ECRI) (ecri@coe.int). (2013, March, 05). Re: The Definition of Anti-Semitism. E-mail to Khaldoun Barghouti. (k_barghouti@hotmail.com).
37. "European Commission Against Racism and Intolerance (ECRI) (ecri@coe.int). (2013, March, 05). Re: The Definition of Anti-Semitism. E-mail to Khaldoun Barghouti. (k_barghouti@hotmail.com).
38. JTA, "EU drops its 'working definition' of anti-Semitism", *Times of Israe* (December, 2013).

    https://www.timesofisrael.com/eu-drops-its-working-definition-of-anti-semitism/.

39. JTA, "EU drops its 'working definition'…
40. JTA, "EU drops its 'working definition'…
41. JTA, "EU drops its 'working definition'…
42. https://antisemitism.org.il/he/83489/.
43. https://www.independent.co.uk/voices/comment/the-eu-has-retired-its-working-definition-of-anti-semitism-its-about-time-8986565.html.

44. https://www.holocaustremembrance.com/working-definition-antisemitism.
45. https://www.holocaustremembrance.com/about-us.
46. https://www.congress.gov/bill/108th-congress/senate-bill/2292/text?q=%7B%22search%223%A%5B%22actionDate%3A%5C%221147%C20165%19-04-C%22+AND+%28billIsReserved%3A%5C%22N%5C%22+or+type%3A%5C%22AMENDMENT%5C%2229-%5%22%D%7D.
47. NUMBER: HR 35: http://leginfo.ca.gov/pub/1112-/bill/asm/ab_00010050-/hr_35_bill_20120823_amended_asm_v98.html.
48. NUMBER: HR 35
49. http://www.sfgate.com/education/article/UC-rejects-anti-Semitism-resolution-3822759.php#ixzz24xuc1Ulw.
50. congress.gov/bill/115th-congress/house-bill/672/text.
51. USACBI, An Open Letter from California Scholars on HR-35, 2012

    http://www.usacbi.org/201209//an-open-letter-from-california-scholars-on-hr-35/.
52. An Open Letter from California Scholars on HR-35
53. https://static1.squarespace.com static/548748b1e4b083fc03ebf70e /t/556490f5e4b0658666cfe8676/1432654069359/.+FAQ-onDefinition-of-Anti-Semitism-315-9-.pdf.
54. https://www.adl.org/who-we-are/our-mission.
55. https://www.adl.org/what-we-do.
56. https://www.adl.org/what-we-do/israel/anti-israel-activity-bds.
57. https://www.adl.org/what-we-do/israel/anti-israel-activity-bds.
58. https://www.adl.org/resources/fact-sheets/response-to-common-inaccuracy-settlements-and-international-law.
59. Noam Chomsky. *Fateful Triangle: The United States, Israel, and the Palestinians*, (London: Pluto Press, 1999).
60. https://www.ampalestine.org/sites/default/files/attachment/201603//ADLbooklet.updated2014.pdf.
61. https://www.adl.org/anti-semitism.
62. https://www.adl.org/take-action-global-100.
63. https://www.adl.org/search?keys=Working+Definition+of+Anti-Semitism.
64. Harold Brackman. "Boycott Divestment Sanctions BDS Against Israel: Anti-Semitic Anti peace Poison Pill", (N.P.): Simon Wiesenthal Center, 2013.
65. Harold Brackman. "Boycott Divestment Sanctions BDS Against Israel: Anti-Semitic Anti peace Poison Pill", (N.P.): Simon Wiesenthal Center, 2013.
66. https://www.ajc.org/sites/default/files/pdf/2020-04/IHRA%20Working%20Definition%20of%20Antisemitism%20Booklet%20Web%20-%203.20.pdf.
67. https://www.holocaustremembrance.com/resources/working-definitions-and-charters.
68. https://www.youtube.com/watch?v=_yoaMDo51Js.
69. https://www.theguardian.com/politics/2018/sep/04/labour-adopts-ihra-antisemitism-definition-in-full.
70. https://www.theguardian.com/politics/2018/sep/04/labour-adopts-ihra-antisemitism-definition-in-full.
71. https://www.theguardian.com/commentisfree/2019/dec/13/antisemitism-executive-order-trump-chilling-effect.
72. https://www.federalregister.gov/documents/2019/12/16/2019-27217/combating-anti-semitism.
73. https://www.theguardian.com/commentisfree/2019/dec/13/antisemitism-executive-order-trump-chilling-effect.
74. https://www.ajc.org/sites/default/files/pdf/2020-04/IHRA%20Working%20Definition%20of%20Antisemitism%20Booklet%20Web%20-%203.20.pdf.